﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: 56]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

في مناسبةِ هذهِ الآيةِ لِما قبلَها وجوهٌ متقاربةٌ، تحريرها في الآتي:

تكميلُ بيانِ حُرْمتِهِ ﷺ

لمّا أمرَ اللّهُ المؤمنينَ بالاستئذانِ وعدمِ النَّظرِ إلى وجوهِ نساءِ النَّبيِّ ﷺ احترامًا؛ كمَّلَ بيانَ حُرْمتِهِ[1]؛ إعلاءً لمقامه، وإكرامًا له، بإيجاب ديمومة الثَّناء عليه، والدُّعاء له.

تعظيمُهُ ﷺ بعدَ تعظيمِ أزواجِهِ

ولمّا تقدَّمَ التَّنبيهُ على تعظيمِ أزواجِهِ ﷺ، وأمرَ سبحانَهُ سائرَ الأُمَّةِ بتعظيمِهم، حيثُ نُهوا أنْ يسألوهنَّ إلّا مِنْ وراءِ حجابٍ، وألّا يَنكِحوهنَّ مِنْ بعدِهِ؛ عقَّبَهُ ببيانِ تعظيمِهِ ﷺ بما هو أقوى مِنْ ذلكَ وأعظمُ، وهو صلاةُ اللّهِ وملائكتِهِ عليهِ[2].

شرفُ منزلتِهِ ﷺ سببُ الأحكامِ السّابقةِ

ثمَّ أُعقِبَتْ أحكامُ معاملةِ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ بالثَّناءِ عليهِ وتشريفِ مقامِهِ؛ إيماءً إلى أنَّ تلكَ الأحكامَ جاريةٌ على مناسبةِ عظَمةِ مقامِ النَّبيِّ ﷺ عندَ اللّهِ تعالى، وإلى أنَّ لأزواجِهِ مِنْ ذلكَ التَّشريفِ حظًّا عظيمًا[3]، فشرَّفَ اللّهُ تعالى في هذه الآية رسولَه ﷺ، وذكَرَ منزلتَه منه، وظهرَ بها سوءُ فعلِ مَنِ استصحب في جهته فكرةَ سوءٍ في أمر زوجاته، ونحو ذلك[4].

ما للنَّبيِّ عند ربِّه من منزلةٍ لا يُدرِكُ كنهها بشرٌ

الآياتُ السّابقة وقدْ عرضت الآياتُ السّابقة لأمور خُصَّ بها النَّبيُّ ﷺ، كَحِلِّ التَّزوُّجِ بعدد مِنَ النِّساء لا يحِلُّ لغيره من المسلمين

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 181، وزاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 6/ 661.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 307.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 97، ومحمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ، دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 388.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 397.

التَّزوُّجُ بهنَّ، وكالتَّزوُّج ممَّن يَهَبنَ أنفسَهُنَّ له من غير مهر، وكتلك الحراسة التي أقامها اللّهُ على بيت النُّبوَّة من خارجٍ ومن داخل، وبهذه الخصوصيّات يُعْرَف بعضُ ما لرسول اللّه من منزلة كريمة، ومقامٍ عظيم عند ربِّهِ، ومعرفة المسلمين لذلك سبيلٌ أن يوقنوا أنَّ ما للنَّبيِّ عند ربِّه أكثر[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُصَلُّونَ﴾: (صلي) الصَّلاةُ في اللُّغةِ: الدُّعاءُ[2] والتَّبريكُ والتَّمجيدُ، والصَّلاةُ الَّتي هي العبادةُ المخصوصةُ أصلُها الدُّعاءُ، وسُمّيَتْ بذلكَ كتسميةِ الشَّيءِ باسمِ بعضِ ما يتضمَّنُهُ[3]، وصلواتُ الرَّسولِ على المسلمينَ: دعاؤُهُ لهُم وذِكرُهم، وصلاةُ النّاسِ على الميتِ: الدُّعاءُ، وصلاةُ اللّهِ على الأنبياءِ والمسلمينَ: حُسْنُ ثنائِهِ عليهم، وحُسْنُ ذِكرِهِ لهُم، أو مغفرتُهُ لهُم، وصلاةُ الملائكةِ: الاستغفارُ[4]، وفي قوله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّـهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾[5]، صلاةُ اللّهِ: كلامُهُ الَّذي يُقدِّرُ بهِ خيرًا لرسولِهِ ﷺ، وصلاةُ الملائكةِ والنّاسِ: استغفارٌ ودعاءٌ بالرَّحَماتِ[6].

2. ﴿وَسَلِّمُواْ﴾: (سلم) أصلٌ يدلُّ على الصِّحَّةِ والعافيةِ[7]، والتَّعرّي مِنَ الآفاتِ الظّاهرةِ والباطنةِ[8]، والتَّسليمُ: التَّحيَّةُ بالسَّلامِ، والسَّلامُ فيهِ معنى الأمانِ والسَّلامةِ، وجُعِلَ تحيَّةً في الأوَّلينَ عندَ اللِّقاءِ مبادأةً بالتَّأمينِ مِنَ الاعتداءِ والثَّأرِ ونحوِ ذلكَ؛ إذ كانوا إذا اتَّقَوا أحدًا؛ خافوا أنْ يكونَ مُضمِرًا شَرًّا لمُلاقيهِ، فكلاهما يدفعُ ذلكَ الخوفَ بالإخبارِ بأنَّهُ مُلْقٍ على مُلاقيهِ سلامةً وأمنًا، ثمَّ شاعَ ذلكَ حتَّى صارَ هذا اللَّفظُ دالًّا على الكرامةِ والتَّلطُّفِ[9].

(1) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 11/ 748.
(2) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (صلي).
(3) الرّاغب، المفردات: (صلي).
(4) الخليل، العين: (صلي).
(5) الرّاغب، المفردات: (صلي).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 97 - 98.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سلم).
(8) الرّاغب، المفردات: (سلم).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 101.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الـكـونُ يَـضِـجُّ بـالـصَّـلاةِ والتَّسليمِ على النَّبيِّ الكريمِ

إنَّ اللّهَ وملائكتَهُ جميعًا يُصلّونَ على النَّبيِّ، ويُعظِّمونَ شأنَهُ، يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا صلّوا عليهِ أنتم أيضًا، وسلِّموا عليهِ تسليمًا عظيمًا[1]، وصلاة اللّه ﷻ هي: الرَّحمة والإحسان والرُّضوان، وصلاةُ الملائكة: هي الدُّعاء والاستغفار، أمّا صلاة المؤمنين؛ فهي دعاؤهمُ اللّهَ تعالى أن يُصَلّيَ عليه، وأن يديمَ هذه الصَّلاة، ويضاعفَها، فيضاعفَ من رحمته وإحسانه ورضوانه على رسوله، وأمّا التَّسليم مِن المؤمنين على النَّبيِّ؛ فهو تسليم عليه بالدُّعاء له بالأمن والسَّلام مِنَ اللّه، وتسليمُ له بالطّاعة والولاء[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآيةِ عمّا قبلَها:

مَـنْ تـولَّى اللّهُ تشريفَهُ حَـريٌّ بالاتِّباعِ والتَّشريفِ

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ استئنافٌ كالتَّعليلِ، لِما أفادَهُ الكلامُ السّابقُ مِنَ التَّشريفِ العظيم الَّذي لم يُعْهَدْ لهُ نظيرٌ[3]، فَصِلةُ هذهِ الجملةِ بالكلامِ السّابقِ صِلةُ السَّببِ بالمُسبَّبِ، وهذهِ الطَّريقةُ شائعةٌ جدًّا في الكتابِ الكريم؛ لأنَّ الغرضَ منها توثيقُ الأوامرِ والنَّواهي، وإقناعُ القلوبِ والعقولِ بها[4]، أي: كيفَ تُؤذونَهُ، أو تُكلِّمونَ نساءَهُ بلا حجابٍ، أو تتزوَّجونهنَّ، معَ أنَّهُ تعالى يُصلّي عليهِ، وملائكتُهُ يُصلّونَ عليه، وهو أهلٌ لفضلِ اللّهِ؟[5].

غرضُ التَّوكيد بـ﴿إِنَّ﴾:

تشريفُ النَّبيِّ ﷺ هو محلُّ عنايةِ اللهِ

تأكيدُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ بـ﴿إِنَّ﴾، وإظهار لفظ الجلالة، والجملة الاسميَّة؛ للاهتمامِ بمضمونِهِ[6]،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 320.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 11/ 749.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 405، والآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 252.
(4) محمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ، دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 389.
(5) أطفيّش، تفسير أطفيّش: 8/ 203.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 97.

والإشارةِ إلى عنايةِ اللهِ سبحانَهُ بمدلولِهِ، ومَلْءِ أسماعِ أهلِ الأرضِ بأنغامِ الصَّلاةِ والتَّسليمِ، الصّادرَينِ مِنَ اللهِ وملائكتِهِ[1]، وفي ذلكَ أيضًا تأديبٌ وترهيبٌ لمَنْ يتهاونُ بحقِّ النَّبيِّ ﷺ[2]، ويحتملُ أنْ يكونَ التَّأكيدُ؛ لوقوعِ الجملةِ في جوابِ سؤالٍ مُقدَّرٍ، نشأ مِنَ الكلامِ السّابقِ، وهو: ما سببُ هذا التَّشريفِ العظيمِ؟[3].

وجهُ الجمعِ بينَ الجُمْلتينِ الاسميَّةِ والفعليَّةِ:

التَّعبيرُ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾؛ للدِّلالةِ على الدَّوامِ والاستمرارِ، وهي تفيدُ الدَّوامَ نظرًا إلى صدرِها مِنْ حيثُ إنَّها جملةٌ اسميَّةٌ، وتفيدُ التَّجدُّدَ نظرًا إلى عَجُزِها، مِنْ حيثُ إنَّها جملةٌ فعليَّةٌ، فيكونُ مُفادُها استمرارَ الصَّلاةِ وتجدُّدَها وقتًا فوقتًا[4].

دوام الصَّلاة على النَّبيِّ من أقرب القُرُبات، وأعظمِ الطّاعات

فائدة إظهار لفظِ الجلالةِ:

افتتاحُ قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ باسم الجلالةِ لإدخالِ المَهابةِ والتَّعظيمِ في هذا الحُكمِ[5]، ببيانِ أنَّهُ فِعْلُ ذي العظَمةِ والعِزِّ والكِبْرياءِ، وفي ذلكَ رَدْعٌ وتأديبٌ لمَنْ قد يتهاونُ بهذا الحقِّ[6]، ولذلكَ أُظهِرَ لفظُ الجلالةِ معَ أنَّ الظّاهرَ أنْ يُضمَرَ ويقالَ: (إنَّهُ وملائكتَهُ)؛ لتقدُّمِ ذِكْرِهِ في قوله: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.

تشريفُ العظيمِ عظيمٌ

دلالةُ الجمعِ والإضافةِ في ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾:

إضافةُ الملائكةِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى

جميعُ الملائكةِ المُكرَمينِ يُصلّونَ على النَّبيِّ الأمين

(1) محمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ، دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 389.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 405.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 252.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 252، ومحمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ، دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 389.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 97.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 405.

ٱلنَّبِيِّۚ﴾: للاستغراقِ، وقيلَ: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾، ولم يُقلْ: (والملائكةَ)؛ إشارةً إلى عظيمِ قَدْرِهم، ومزيدِ شرفِهم بإضافتِهم إلى اللّه تعالى، وذلكَ مُستلزِمٌ لتعظيمِهِ ﷺ بما يصلُ إليهِ منهُم، مِنْ حيثُ إنَّ العظيمَ لا يَصْدُرُ منهُ إلّا عظيمٌ، ثمَّ فيهِ التَّنبيهُ على كثرتِهم، وأنَّ الصَّلاةَ مِنْ هذا الجمعِ الكثيرِ الَّذي لا يُحيطُ بمُنتهاهُ غيرُ خالقِهِ، واصلةٌ إليهِ ﷺ على مرِّ الأيّامِ والدُّهورِ، معَ تجدُّدِها كلَّ وقتٍ وحينٍ، وهذا أبلغُ تعظيمٍ وأشملُهُ وأكملُهُ[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالصَّلاةِ:

إظهارُ شرفِ النَّبيِّ ﷺ

الصَّلاةُ في الأصلِ بمعنى الدُّعاءِ، وقد تُجوِّزَ بها في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ وقولِهِ: ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ عن الاعتناءِ بصلاحِ أمرِ النَّبيِّ ﷺ، وإظهارِ شرفِهِ[2]، ومعنى الاعتناءِ بما ذُكِرَ: إعلاءُ ذِكْرِهِ، وإبقاءُ شريعتِهِ، وإشاعةُ جلالتِهِ في الدُّنيا والآخرةِ[3].

دلالةُ المضارعةِ في ﴿يُصَلُّونَ﴾:

التَّرغيبُ في الإكثارِ مِنَ الصَّلاةِ على النَّبيِّ ﷺ

جيءَ في صلاةِ اللّهِ وملائكتِهِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ بالمضارعِ الدّالِّ على التَّجدُّدِ والتَّكريرِ؛ ليكونَ أمرُ المؤمنينَ بالصَّلاةِ عليهِ والتَّسليمِ عَقِبَ ذلكَ مُشيرًا إلى تكريرِ ذلكَ منهُم، والإكثارِ منهُ؛ تأسّيًا بصلاةِ اللّهِ وملائكتِهِ[4].

نُكْتةُ الإخبارِ عن اللهِ وملائكتِهِ بخبرٍ واحدٍ:

الملائكةُ مُكرَمونَ عندَ اللهِ تعالى

الضَّميرُ في قولِهِ سبحانَهُ: ﴿يُصَلُّونَ﴾ للّهِ وللملائكةِ، وفي هذا الجمعِ تشريفٌ للملائكةِ[5]، حيثُ جُعِلَ الضَّميرُ لهُم وللّهِ سبحانَهُ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 252، ومحمّد أبو موسى، من أسرار التّعبير القرآنيّ، دراسة تحليليّة لسورة الأحزاب، ص: 389.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 238.
(3) الشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 7/ 183.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 99 - 99.
(5) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 397، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 232.

واحدًا، وفيهِ تشريفٌ أيضًا للنَّبيِّ[1]، ويحتملُ أنْ يكونَ في الكلامِ حذفٌ، تقديرُهُ: إنَّ اللّهَ يُصلّي على النَّبيِّ، وملائكتَهُ يُصَلّونَ عليهِ، فلا يكونُ في الآيةِ اجتماعٌ في ضميرٍ[2].

توجيهُ المتشابهِ اللَّفظيِّ:

التَّشريكُ في الخبرِ أفخمُ وأعظمُ

قالَ تعالى فيما سبقَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: 43]، فجعلَ الصَّلاةَ للّهِ، وعطفَ الملائكةَ على اللّهِ، وهنا جمعَ نفسَهُ وملائكتَهُ، وأسندَ الصَّلاةَ إليهم، فقالَ: ﴿يُصَلُّونَ﴾، وفي ذلكَ تعظيمٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّ إفرادَ الواحدِ بالذِّكرِ وعطْفَ الآخرِ عليهِ يوجبُ تفضيلًا للمذكورِ على المعطوفِ، كما أنَّ المَلِكَ إذا قالَ: (يدخلُ فلانٌ وفلانٌ أيضًا)؛ يُفهَمُ منهُ تقديمٌ، لا يُفهَمُ لو قالَ: (فلانٌ وفلانٌ يدخلانِ)، فقال في حقِّ النَّبيِّ ﷺ: ﴿يُصَلُّونَ﴾؛ إشارةً إلى أنَّهُ في الصَّلاةِ على النَّبيِّ ﷺ كالأصلِ، وفي الصَّلاةِ على المؤمنينَ اللّهُ يرحمُهم، والملائكةُ يوافقونَهُ، فهُم في الصَّلاةِ على النَّبيِّ ﷺ يُصَلّونَ بالإضافةِ، كأنَّها واجبةٌ عليهم أو مندوبةٌ، سواءٌ صلَّى اللّهُ عليهِ، أم لم يُصَلِّ، وفي المؤمنينَ ليسَ كذلكَ[3].

دلالة ﴿عَلَى﴾ في قوله: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾:

النَّبيُّ ﷺ مُحاطٌ بصلاةِ اللهِ وملائكتِهِ

حرفُ الجرِّ ﴿عَلَى﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ للاستعلاءِ المجازيِّ، وهو يفيدُ أنَّ الصَّلاةَ الكثيرةَ المُتجدِّدةَ مِنَ اللّهِ وملائكتِهِ قد أحاطَتْ بالنَّبيِّ ﷺ وغمرَتْهُ؛ تشريفًا وتعظيمًا لهُ، كما يُحيطُ المُستعلي بالمُستعلَى عليهِ.

سرُّ التَّعبيرِ بالنُّبوَّةِ دونَ اسمِهِ ﷺ:

اختصاصُ النَّبيِّ ﷺ بمزيدِ التَّفخيمِ والتَّكريمِ

عُبِّرَ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ بالنَّبيِّ ﷺ دونَ

(1) الشّوكانيّ، فتح القدير: 4/ 345.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 397، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 232.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 181، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 406.

اسمِهِ، على خلافِ الغالبِ في حكايتِهِ تعالى عن أنبيائِهِ ﷺ؛ إشعارًا بما اختُصَّ بهِ ﷺ مِنْ مزيدِ الفخامةِ والكرامةِ وعُلوِّ القَدْرِ[1].

دلالةُ التَّعريفِ في ﴿ٱلنَّبِيِّ﴾:

غـلَـبـةُ وصـفِ النُّبوَّةِ على نبيِّنا ﷺ

أُكِّدَ تعظيمُ النَّبيِّ ﷺ وتفخيمُ شأنِهِ في قولِهِ: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ بالإتيانِ بـ(أل) الَّتي للغلَبةِ؛ إشارةً إلى أنَّهُ ﷺ هو المعروفُ الحقيقُ بهذا الوصفِ[2]، فلا حاجةَ إلى بيانِهِ؛ إذ لا يتبادرُ إلى الذِّهنِ غيرُهُ.

علَّةُ فصلِ جملة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ عمّا قبلَها:

صـلاةُ المؤمنينَ مُترتِّبةٌ على صلاةِ اللهِ وملائكتِهِ

فُصِلَتْ جملةُ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنَّها هي المقصودةُ، وما قبلَها توطئةٌ لها وتمهيدٌ؛ لأنَّ اللهَ لمّا حذَّرَ المؤمنينَ مِنْ كلِّ ما يُؤذي الرَّسولَ ﷺ؛ أعقبَهُ بأنَّ ذلكَ ليسَ هو أقصَى حظِّهم مِنْ معاملةِ رسولِهم أنْ يتركوا أذاهُ، بل حظُّهم أكبرُ مِنْ ذلكَ، وهو أنْ يُصَلّوا عليهِ، ويُسلِّموا، وذلكَ هو إكرامُهم الرَّسولَ ﷺ فيما بينَهم وبينَ ربِّهم، فهو يدلُّ على وجوبِ إكرامِهِ في أقوالِهم وأفعالِهم بحضرتِهِ بدلالةِ الفَحْوى، فجملةُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بمنزلةِ النَّتيجةِ الواقعةِ بعدَ التَّمهيدِ[3].

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دونَ النّاسِ:

الأمـرُ بالـصَّلاةِ والتَّسليمِ مِنْ خـواصِّ هـذهِ الأمَّةِ

ناداهم اللهُ تعالى في قولِهِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ بوصفِ الإيمانِ؛ تأكيدًا للأمرِ بالصَّلاةِ وحثًّا عليها، وإلهابًا لهُم وتهييجًا؛ ليُقبلوا على المأمورِ بهِ، كأنَّهُ قيلَ: إنْ كنتُم مُؤمنينَ حقًّا؛ فصَلّوا عليهِ، وسلِّموا؛ لأنَّ ذلكَ مِنْ موجَباتِ الإيمانِ، وعُبِّرَ بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دونَ النّاسِ الشّاملِ للكفّارِ؛ إشارةً إلى أنَّ الصَّلاةَ عليهِ ﷺ مِنْ أجَلِّ الوسائلِ وأنفعِها، والكافرُ لا وسيلةَ لهُ، فلم يُؤْتَ بلفظٍ يشملُهُ،

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 252.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 252.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 97.

ولأنَّ السّياقَ حديثٌ معَ المؤمنينَ، والأمرُ بالصَّلاةِ والتَّسليمِ مِنْ خواصِّ هذهِ الأمَّةِ، فلم تُؤمَرْ أمَّةٌ غيرُها بالصَّلاةِ والتَّسليمِ على نبيِّها[1].

الصَّلاةُ على النَّبيِّ حُكْمٌ تكليفيٌّ واجب

لو كان النِّداء بـ(يا أيُّها النّاس)؛ لعمَّ المؤمنين والكافرين؛ لأنَّه يكون متضمِّنًا خطابًا للكافَّة، ويكون المطلوب فيه إجابةَ الدَّعوة المحمَّديَّة بالتَّوحيد، مع ذكر البرهان العامِّ الدّالِّ على التَّوحيد وصدقِ الرَّسول ﷺ، أمّا النِّداء بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ فإنَّه يكون متَّجهًا إلى بيان الأحكام التَّكليفيَّة: نهيًا أو طلبًا، أو إباحةً بنصٍّ شرعيٍّ، وسواء أكان التَّكليفُ يتعلَّق بالأسرة، أم بالعلاقات الدَّوليَّة، أم كان بالتَّحريض على الجهاد[2].

نُكْتَةُ أمرِ المؤمنينَ بالصَّلاةِ على النَّبيِّ ﷺ:

إكرامُ المؤمنينَ بثوابِ الصَّلاةِ والتَّسليمِ

قد يقالُ: إذا صلَّى اللّهُ وملائكتُهُ على النَّبيِّ ﷺ؛ فأيُّ حاجةٍ إلى صلاةِ المؤمنينَ المأمورين بها في قولِهِ: ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾؟ والجوابُ: أنَّ الصَّلاةَ عليهِ ليستْ لحاجتِهِ إليها، وإلّا فلا حاجةَ إلى صلاةِ الملائكةِ معَ صلاةِ اللّهِ عليهِ، وإنَّما هي لإظهارِ تعظيمِهِ، كما أنَّ اللّهَ تعالى أوجبَ علينا ذِكرَ نفسِهِ، ولا حاجةَ لهُ إليهِ، وإنَّما هو لإظهارِ تعظيمِهِ منّا؛ شَفَقَةً علينا ليُثيبَنا عليهِ[3].

دلالةُ الأمرِ بالصَّلاةِ على النَّبيِّ:

الصَّلاةُ على النَّبيِّ ﷺ واجبةٌ

ظاهرُ قولِهِ تعالى: ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ يدلُّ على وجوبِ الصَّلاةِ والسَّلامِ عليهِ في الجملةِ[4]، أي: مِنْ غيرِ تعيينِ مِقْدارٍ وزمانٍ وتكرارٍ[5]، وأقلُّ ذلكَ مرَّةٌ واحدةٌ؛ لضرورةِ إيقاعِ الفعلِ، ولا خلافَ في استحبابِ الإكثارِ مِنَ الصَّلاةِ عليهِ[6].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 260.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/ 154.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 182.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 238.
(5) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 183.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 97 - 98.

معنى (على) في قوله: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾:

(على) في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾؛ للاستعلاءِ المجازيِّ، وهي تفيدُ الأمرَ بصلاةٍ تُحيطُ بالنَّبيِّ ﷺ تشريفًا لهُ وتعظيمًا، كما يُحيطُ المُستعلي بالمُستعلَى عليهِ، وفي ذلكَ إشارةٌ إلى ندبِ الإكثارِ منها؛ ليتحقَّقَ الاستعلاءُ المذكورُ أتمَّ التَّحقُّقِ وأكملَهُ.

الإشـــارةُ إلى ندبِ الإكثارِ مِنَ الصَّلاة والسَّلام على النَّبيِّ ﷺ

سرُّ تخصيصِ النَّبيِّ بالصَّلاةِ عليهِ:

أمرَ اللهُ تعالى عبادَهُ في القرآن الكريم في قولِهِ: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ بالصَّلاةِ على نبيِّهِ محمَّدٍ ﷺ دونَ أنبيائِهِ؛ تشريفًا لهُ[1]، وإظهارًا لعُلوِّ قَدْرِهِ ومكانتِهِ.

التَّخصيصُ مِنْ أماراتِ التَّشريفِ

معنى الواوِ في قوله: ﴿وَسَلِّمُواْ﴾:

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾؛ لعطفِ التَّسليمِ على الصَّلاةِ، والآيةُ تضمَّنَتِ الأمرَ بهما، ولم تقتضِ جمعَهما في كلامٍ واحدٍ، فالمُسلِمُ مُخيَّرٌ بينَ أنْ يَقْرِنَ بينَهما، بأن يقولَ: صلَّى اللهُ على محمَّدٍ، والسَّلامُ عليهِ، أو أنْ يقولَ: اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ، والسَّلامُ على محمَّدٍ، وبينَ أنْ يُفرِدَ الصَّلاةَ، ويُفرِدَ التَّسليمَ[2].

الأمـرُ بالصَّلاةِ والتَّسليمِ

سرُّ اختصاصِ السَّلامِ بالمؤمنينَ:

خُصَّ السَّلامُ بالمؤمنينَ في قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ دونَ اللهِ والملائكةِ؛ لأنَّ السَّلامَ تسليمُهُ ﷺ عمّا يُؤذيهِ، فلمّا جاءَتْ هذهِ الآيةُ عَقيبَ ذكرِ ما يُؤذي النَّبيَّ ﷺ، والأذيَّةُ إنَّما هي مِنَ البشرِ، وقد صدرَتْ منهُم؛ ناسبَ التَّخصيصُ بهِم[3].

مناسبةُ السَّلامِ لمقامِ النَّهي عن الإيذاءِ

دلالةُ ذكرِ المصدرِ معَ التَّسليمِ دونَ الصَّلاةِ:

ذُكِرَ المصدرُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾، وهو مفعولٌ

طلبُ كمالِ التَّسليمِ دفعٌ لتوهُّمِ قلَّةِ الاهتمامِ

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 232.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 102.
(3) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 183.

مطلق مُؤَكِّدٌ لفعله؛ ليُكمِلَ السَّلامَ عليه، ولم تُؤَكَّدِ الصَّلاةُ بهذا التَّأكيد، فلم يقل: (صلّوا عليه صلاةً)؛ لأنَّها كانَتْ مُؤَكَّدةً بقولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾[1]، وهذا التَّأكيدُ أقوى مِنَ التَّأكيدِ بالمصدرِ، ففيه تنبيهٌ على فضلِ الصَّلاةِ[2]، ولأنَّ الصَّلاةَ غلبَ إطلاقُها على معنى الاسمِ دونَ المصدرِ، وقياسُ المصدرِ: التَّصليَةُ، ولم يُستعمَلْ في الكلامِ؛ لأنَّهُ اشتُهِرَ في الإحراقِ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٖ ٩٤﴾ [الواقعة: 94][3]، وأيضًا الصَّلاةُ مُقدَّمةٌ عليه لفظًا، والتَّقديمُ يفيدُ الاهتمامَ، فحَسُنَ تأكيدُ السَّلامِ؛ لئلّا يُتوَهَّمَ قلَّةُ الاهتمامِ به لتأخُّرِه[4]، ويُحتملُ أنْ يكونَ في الآيةِ فنُّ الاحتباكِ، حيثُ حُذِفَ مِنْ أحدِهما ما ذُكِرَ في الآخرِ، كأنَّهُ قيلَ: إنَّ اللّهَ وملائكتَهُ يُصلّونَ على النَّبيِّ صلاةً، ويُسلِّمونَ عليه تسليمًا، يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا صلّوا عليه صلاةً، وسلِّموا عليه تسليمًا[5].

لطيفةُ التَّعبيرِ بصيغةِ التَّفعيلِ:

التَّسليمُ على العظيمِ عظيمٌ

جيءَ بصيغةِ التَّفعيلِ في قولِه تعالى: ﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾، ولم يقلْ: (وسلِّموا سلامًا)؛ للمبالغةِ في طلبِ السَّلامِ، وأنْ يكونَ فيه تفخيمٌ وتعظيمٌ للنَّبيِّ ﷺ؛ إنزالًا له منزلتَه التي يستحِقُّها.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 182.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 415.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/ 103.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/ 256.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 407، والقونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 415.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»